

الملائكة خلق عظيم يدل على عظمة الله

..... وبعد أن خلق الله تعالى العرش، وخلق الملائكة الذين يحملونه، وحملوه بما أفردهم الله عليه، وكذلك أيضًا خلق ما حوله من الملائكة وما فى السماوات أيضًا من الملائكة الذين لا يحصى عددهم إلا الله كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- { أطلت السماء وحق لها أن تثط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد } السماوات مع سعتها مليئة بالملائكة الذين يعبدون الله تعالى ويحمدونه وبطيوعونه، فهم ملء السماوات لا يحصيه إلا الله يقول تعالى: { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } . ورد فى حديث أنه -صلى الله عليه وسلم- لما عرج به يقول: رأيت البيت المعمور الذى ذكر فى سورة الطور { وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّفْفِ الْمَرْفُوعِ } وإذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفًا، ثم لا يعودون إليه يعنى من الملائكة. قيل: إنهم من سماء واحدة؛ كل يوم يدخلون هذا البيت يتعبدون فيه سبعون ألفًا، ثم يأتى فى اليوم الثانى غيرهم، وهكذا ما دامت الدنيا لا يعودون إليه إلى يوم القيامة. لا شك أن هذا دليل على كثرة عددهم، ذكروا أنها لما نزلت الآية فى سورة المدثر فى قوله تعالى: { سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ وَمَا أدْرَاكَ مَا سَقَرٌ لَا يُثْقَى وَلَا تَذَرُ لَوَاحِئُهُ لِلنَّبِيرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ } قيل: إن المراد أنهم تسعة عشر ألفًا، وإذا قيل: إنهم تسعة عشر ملكًا، فإنه قد ذكر من عظمتهم أن الملك الواحد يقبض مائة ألف ويلقى بهم فى قبضته لا يعلم عظمة هذه إلا الذى خلقهم. والمشركون كذبوا بذلك أو سخروا منه وقالوا: يزعم محمد أن الذين يعذبونكم فى النار تسعة عشر، وأنتم أكثر القوم أفلا تغلبونهم؟ حتى قال أحدهم: أنا أكفيكم عشرة وَاكفونى تسعة. وذلك على وجه السخرية عند ذلك قال الله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا } إلى قوله { وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ } . فالحاصل أن هذا يعنى ما روي من عظمة خلق أحدهم أنه دليل على عظمة من خلقهم وعلى قدرته على كل شيء. ورد لما أن بعض المشركين سمعوا قول الله تعالى: { سَأَبْقُوا إِلَىٰ مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ } فقالوا: هذه هى الجنة فأين النار، إذا كانت الجنة عرضها كعرض السماء والأرض؟ فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن الله قادر على أن يجعلها فى أية مكان، ولا يحصى أو لا يحيط بعظمتها إلا الذى خلقها. وعلى هذا نأخذ من هذا كله عظمة من أوجد هذه المخلوقات، وأنه تعالى موصوف بصفات العظمة، وموصوف بأنه عليم بكل شيء، وأنه سميع، وأنه بصير، وأنه قوي، علمه لا يخفى عليه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وبصره أنه يرى أو يبصر جريان الماء فى عروق الشجر، وأنه يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة السوداء فى ظلمة الليل؛ وذلك لأنها مخلوقة وهو الخالق لها. ثم وصف الله تعالى نفسه بأنه قريب { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } وما ذكر من قربه لا ينافى ما ذكر من علوه فهو سبحانه على فى دنوه قريب فى علوه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. والقصد من هذا كله أن يستحضر المسلم عظمة الله تعالى وأن يحتقر الدنيا وما عليها وأن يستصغر نفسه وألا يتكبر على ربه وألا يتعاضم عن عبادة الله تعالى، وأن يتواضع لله ويعبده حق العبادة وينيب إليه ويتوب إليه ولا يخرج عن طاعته، وأن يستحضر أن الله تعالى يراه وأنه هو الذى أنعم عليه وأنه محيط به وأنه لا يخرج عن قبضته شيء من المخلوقات بل كلهم فى قبضته وتحت تصرفه وتقديره متى يكون؟ ذلك كله بحامل له على أن يدين لله تعالى بالتعظيم ويعظمه حق العظمة ويعبده وحده ولا يعبد معه غيره. وهذا هو القصد من ذكر الآثار التى تدل على عظمة الخالق سبحانه والتى أخبر بهذه الآثار والتى أخبر الله تعالى عنها فى كتابه وأخبر بها نبيه -صلى الله عليه وسلم- من كونه سبحانه يقبض السماوات والأرض، ثم يهزهن فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ويقول: لمن الملك اليوم لله الواحد القهار، إن هذا القصد من ذلك كله الإنابة إليه والرغبة فيما لديه وتعظيمه حق العظمة، واحتقار المخلوقات، واحتقار الدنيا بأسرها ومن عليها بالنسبة إلى عظمته سبحانه. الآن نواصل القراءة....